لَمَحَاتٌ عِلْمِيَّةٌ وَقُطُوفٌ تَفْسِيرِيَّةٌ

د. محمد دودح

الباحث العلمي بالهيئة العالميــة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

لَمَحَاتٌ عِلْمِيَّــةٌ وَقُطُوفٌ تَفْسِيرِيَّةٌ

د. محمد دودح

الباحث العلمي بالهيئة العالميــة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

المُقَدِّمَة

لا خلاف في المنهج بين مفسري اليوم للآيات الكونية ومفسري الأمس؛ سوى تَجَلِّي بعض خفايا الخليقة بعد اكتشاف المنظار والمجهر وتطور وسائل الرصد، لتسطع البينة على أن هذا القرآن هو الحق، ولو كان مُفَسِّرِي الأمس مُعَاصِرِين لَسَارَعُوا إلى تفسير الآيات الكونية بالحقائق العلمية، فقد فاضت كتبهم ومن سار على دربهم بوجوه من الإعجاز في القرآن الكريم.

قَالَ الْفَخر الرازي: ""كَانَ عمر بن الحسام يقْرَأ كتاب المجسطي على عمر الْأَبْهَرِيّ فَقَالَ لَهما بعض الْفُقَهَاء يَوْمًا: مَا الَّذِي تقرأونه؟ فَقَالَ الْأَبْهَرِيّ أفسر قَوْله تَعَالَى {أفلم ينْظرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقهم كَيفَ بنيناها} فَأَنا أفسر كَيْفيَّة بنائها، وَلَقَد صدق الْأَبْهَرِيّ فِيمَا قَالَ؛ فَإِن كل من كَانَ أَكثر توغلا فِي بحار الْمَخْلُوقَات كَانَ أَكثر علمًا بِجلَال الله تَعَالَى وعظمته"[1]، والمجسطي هذا كتاب قديم في الفلك والرياضيات ألفه بطليموس حوالي عام ١٤٨م في الاسكندرية، وترجمه إلى العربية حنين بن إسحاق العبادي في عهد المأمون حوالي عام ٨٢٧م[2]، فما بالك بالمجلدات اليوم المزدانة بمفاخر الكشوف ومآثر العلوم!.

وتأتي الملامح العلمية بعفوية وتلطف لا يلفت عن غرض الإيمان، ولا مجال لاستنباط وجه علمي بمعزل عن تفهم بديع أساليب البيان، والخشية من تغير الحقائق العلمية مع الزمن حرص محمود؛ لكن الحقائق ثوابت لا تتغير مع الزمن كظلمة البحر العميق، والقول بأن الاجتهاد قد يصيب وقد يخيب صحيح؛ ولكن حرص المتضلعين بعلوم اللغة والشريعة والطبيعة كفيل بالتصويب.

والتفسير بالعلوم يُوَضِّح ما انتظرته الأيام ليتجلى ويسطع ويتحقق وعد جازم: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ص:٨٧و٨٨، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٤١فصلت:٥٣، ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٢٧النمل:٩٣، ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ. لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٦الأنعام:٦٦و٦٧، ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ ١٠يونس:٣٩، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ٣٨ص:٨٧و٨٨.

د. محمد دودح

[1] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٤\ ١٥٤).

[2] موسوعة ويكيبيديا والشبكة الدولية.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾ ٢البقرة:٦١.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ. وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ ٢البقرة:٦٠و٦١،

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿بِقَلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾، ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾، ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

And remember when you said, "O Moses, we can no longer tolerate one kind of food; Call upon your Lord to produce for us such earthly crops as beans, cucumbers, corn, lentils, and onions." He said, "Do you wish to substitute that which is inferior for that which is good? Go down to Egypt, where you can find what you asked for".

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

البقل في لغة العرب ليس خاصا بنبات بعينه؛ وإنما يشمل كل نبات ظهر واخْضَرَّتْ به الأَرضُ، وبقلت الأرض: أي أنبتت البقل والمرعى الأخضر، وفي المصطلح العلمي نباتات حولية تزرع موسميًا وليس طول السنة، وقد تؤكل طازجة، وهي نباتات متنوعة الأجناس والأنواع حيث تضمّ حوالي ٧٣٠ جنسًا وأكثر من ١٩,٤٠٠ نوعًا؛ وتشمل الفصيلة البُقُولِيَّة أو القَرْنِيَّة أو الفُولِيَّة Fabaceae أو Leguminosae، ومن أمثلتها الخس والجرجير والفجل والطماطم والبطاطس والبطاطا والجزر والفلفل وفول الصويا والبسلة والباذنجان واللوبيا والفاصوليا والحلبة والحمص والترمس.

والقثاء من الفصيلة القرعية Cucurbitaceae، وهي نباتات إما زاحفة أو مُتَسَلِّقَة والثمرة لبية قد تؤكل طازجة، لكنه الأنسب في الاختيار ليمثل الفصيلة لأنه مُمَيّز لمصر حتى أنه قد سُمِّيَ: الخيار المصرى Egyptian Cucumber.

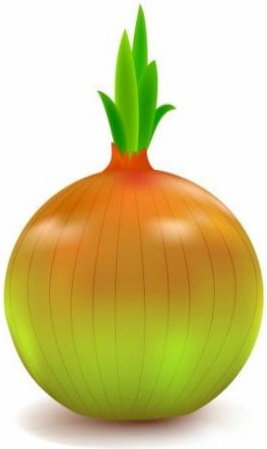

والعدس lentil أحد نباتات الفصيلة البقولية؛ واختياره يتفق مع كونه لا يصلح أن يؤكل طازجًا بخلاف معظمها، أما البصل Onion فهو عبارة عن قواعد منتفخة للأوراق، وهو يُصَنَّف حاليًّا مع الثوم والكرات ضمن العائلة النرجسية، ويعتبر الثوم Garlic من أقدم النباتات التي عُرفت في مصر حيث وجد منقوشا على جدران القبور والمعابد، وكشفت نقوش بجوار الهرم الأكبر أن الثوم كان يعطى لعمال التشييد كل صباح لتقويتهم والمحافظة على صحتهم، وقد عرف قدماء المصريين فوائده كمضاد للسموم؛ خاصةً سم الثعابين التي كانت منتشرة في مستنقعات البوص.

والقمح Wheat نبات عشبي يُصَنَّف ضمن النجيليات Gramineae، وهو ينمو في سنابل ويُتَّخَذ من دقيقه الخُبز؛ ويسمى البُر والحِنطة، وهناك نحو ٦٠٠ جنس في هذه الفصيلة وحوالي ١٠,٠٠٠ نوع، ومن بينها الخيزران والقصب وقصب السكر؛ وأهم المحاصيل الزراعية كالقمح والأرز والذرة والشعير والشوفان والدُّخن والذرة البيضاء، وكان القمح هو محور قصة يوسف الوكيل الملكي يومئذٍ لمخازن الحبوب مع إخوته العبرانيين زمن القحط الذي حل بمصر وفلسطين: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ﴾ ١٢يوسف:٦٣، وحفظت حكمته لمصر ثروتها: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ ١٢يوسف:٤٧.

والنباتات المُختارة إذن يجمعها أنها خضراء موسمية نتاج فلاحة أرض وشبكة رى واسعة ومراقبة للفصول، والتعبير بهذا يعكس مدى النشاط الزراعي للمصريين القدماء واعتمادهم على فيضان النيل، وبالفعل تُعتبر الزراعة هي أساس حضارتهم ومصدر ثروتهم، وقد كانوا ينتظرون الفيضان السنوي للنيل ليغطي حقولهم بالماء والطمي فيبدأ موسم الزراعة، ووفق النقوش بالمقابر التي اكتشفت حديثًا؛ كان لهم نشاط زراعي كبير، وقد استخدموا الشادوف لرفع المياه إلى الحقول، وكانت المياه تُنقل أيضا في جرار تُحمل بواسطة عود خشبي يستقر على الكتفين، وحفروا الترع والقنوات لتوجيه المياه إلى أماكن بعيدة عن ضفاف نهر النيل، وحفروا ترعة طويلة تُعرف ببحر يُوسف لجلب المياه من نهر النيل إلى منخفض الفيوم وتخزينها لري الحقول في غير فصل الفيضان، أما جنوب سيناء حيث المنطقة جبلية منعزلة ومصادر الماء والمساحات بالأودية محدودة؛ فليس إلا أطعمة البادية؛ كالتمر والنبق ثمار السدر، والعسل الجبلي، وفطر الكمأة، والطيور المهاجرة موسميا كل شتاء أو صيف ومنها السلوى.

والكمأة (الفقع أو الترفاسي) Truffle فطر بري يستخدم كطعام وينتمي للعائلة الفنجانية Pezizaceae أو الترفزية Terfeziaceae، وهو ينمو في الصحراء بعد سقوط الأمطار بعمق من ٥ إلى ١٥ سنتيمتر تحت الأرض، وتنمو الكمأة على شكل درنة البطاطا قريبا من جذور الأشجار الكبيرة، ويتراوح حجمه من حجم حبَّة البندق إلى حجم البرتقالة، وهو لا يحتوي على الكلوروفيل فلا يقوم بعملية البناء الضوئي؛ ولذا يعتمد في غذائه على بقايا عضوية في التربة.

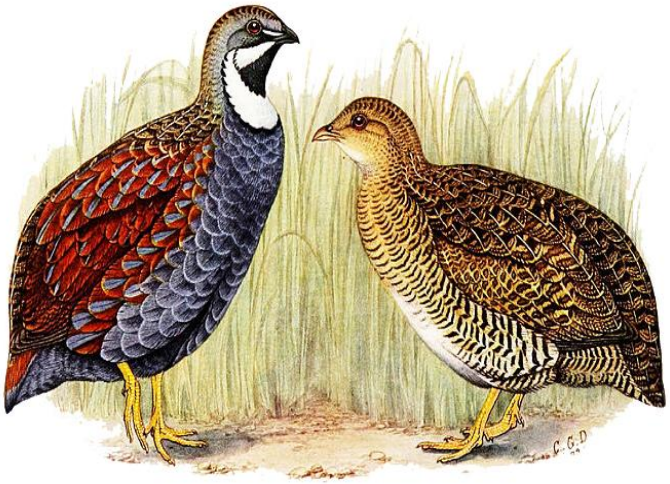

والسمان Quail من رتبة طيور الدجاجيات Gallinaceous Birds، وهو الوحيد من الرتبة الذي له المقدرة علي الطيران والهجرة؛ حيث يقضى فصل الصيف في أوربا ويهاجر إلي أفريقيا في الشتاء ثم يعود مرة أخرى إلي موطنه.

وتوجد حشرة تسمى قملة النبات أو حشرة المن Aphid، وتتميز بأنها تمتص عصارة النبات وتفرز مادة سكرية، وهناك أنواعًا من النمل تربي قطعانًا من حشرة المن تلك وتقدم لها أوراق الأشجار وترعاها، ثم تحلبها بالطرق على مؤخرتها بقرون الاستشعار لتحفزها على إدرار القطرات السكرية لتمتصها قبل أن تجف وتصبح صمغية القوام.

وفي شمال العراق حاليًا تباع حلوى تسمى حلوى المن أو مَنُّ السَّمَا، وهي بالمثل من إنتاج نوع من حشرة المن؛ حيث تتجمع المادة الصمغية على أوراق أشجار البلوط والجوز الشاهقة على شكل قطع متفاوتة الحجم، ويقوم الأهالي بالبحث عنها في المناطق البعيدة المنعزلة بجبال كردستان في رحلات تكتنفها مخاطر التعرض للحيوانات المفترسة؛ لكن المردود المادي يستحق المغامرة، وتنقى من الشوائب ويضاف إليها الجوز والهيل وتباع خاصة بمدينة السليمانية، لكن التسمية الشعبية لا تعني بالضرورة أنها مقصود لفظ المَن بسيناء؛ لأن معناه بالعربية يَتَّسِع ليشمل كل عطاء رباني، والحديث النبوي: "الكمأة من المن" أخرجه الشيخان؛ يؤيد إطلاق دلالة لفظ المن ليشمل أنواعا عديدة من أرزاق البادية، وليس لفظ (السلوى) كذلك مقصور على طائر السمان؛ فإذا اتسع المن لكل طعام تكون السلوى تسلية وتحليه مع الطعام.

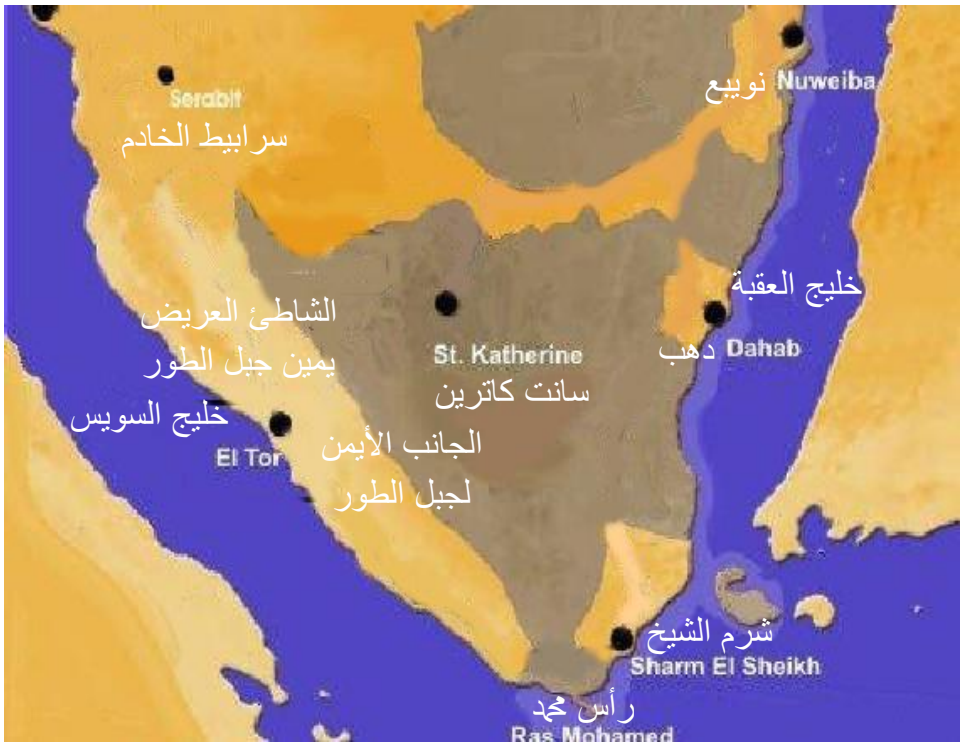

ويستوقفنا التعبير: ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ﴾ ٢٠طه:٨٠، والطور جبل جنوب سيناء تبدو قممه جبالاً، وجانبه ناحية خليج السويس ذو شاطئ عريض؛ وفي الجانب المواجه لخليج العقبة يطل الجبل في مواضع على الماء، والطور مثلث رأسه جهة الجنوب وتجتمع مياه جانبه الأيمن مع الأيسر في مجمع واحد كبير للبحرين هو البحر الأحمر، وقد كانت سيناء مركزًا للعبادة ومأوىً للزهاد، وفي أول عهده كان موسى شغوفًا للوصول لمكان اللقاء مع أحد العباد لتلقي دروس الإيمان عند مجمع البحرين: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ ١٨الكهف:٦٠؛ ولا ينطبق الوصف على أي مكان في العالم إلا عند مجمع خليجي العقبة والسويس في بحر واحد هو البحر الأحمر.

وكان تلقي نداء نبوة موسى في وادي بجانب الطور في بقعة مباركة: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ ٢٨القصص:٤٦، وارتفاع الوادي في المنطقة الجبلية يضاعف برودة الجو: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ ٢٨القصص:٢٩، ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى. إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى. فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى. إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ ٢٠طه:٩-١٢، (طوى) إذن موضع عبادة: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى. إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ ٧٩النازعات:١٥و١٦، وقيل أن الجبل الذي في سفحه زرع لفظة تُرسَم بالمصرية القديمة ضُو وتنطق بالقبطية تُووَ؛ وهما قريبتان من طوى، قال أبو القاسم الكرماني: "قوله: طُوِر.. (قال) الكلبي: كل جبل ذي شجر"[٣]، ولك إذن أن تُسميه وادي الشجرة أو الحياة: ﴿نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ ٢٨القصص:٣٠.

والاهتمام في القرآن الكريم مُنصب على الجانب الأيمن لجبل الطور في قصة موسى؛ سواء حين عودته من مدين والاتجاه شمالا، أو حين قيادته لقومه والاتجاه جنوبا؛ بيانًا بأن الوصف باليمين يخص الجانب الأيمن للجبل لا المارين، ففي رحلة عودة موسى بأهله من مدينة مدين صوب وادي النيل خلال سيناء والاتجاه نحو الشمال على الشاطئ المتسع المواجه لخليج السويس: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ ١٩مريم:٥٢، ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ ٢٨القصص:٣٠، وفي رحلة خروج موسى من مصر بأتباعه والاتجاه جنوبا غرب جبل الطور على الشاطئ المتسع لخليج السويس: ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ﴾ ٢٠طه:٨٠.

ووصف الجانب بالأيمن يفيد وجود أيسر؛ أما جنوب الجبل فملتقى الجانبين عند مجمع البحرين الأيمن والأيسر في مجمع مائي أكبر هو البحر الأحمر، فكأن النصوص ترسم لك خريطة جغرافية لسيناء؛ لأن جبل الطور يتجه برأسه نحو الجنوب حيث ملتقى جانبيه عند رأس محمد، فيكون جانبه الأيمن هو الشاطئ العريض جهة خليج السويس؛ أي جهة مغرب الشمس، وهو صريح التعبير: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ﴾ ٢٨القصص:٤٤، قال ابن عاشور: "وَأَمَّا جَعْلُهُ بِمَعْنَى الْأَيْمَنِ لِمُوسَى فَلَا يَسْتَقِيمُ مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ﴾؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَجْرِ ذِكْرٌ لِمُوسَى"[٤]، "وَهُوَ نَفْسُ الْمَكَانِ الَّذِي نُودِيَ فِيهِ مُوسَى لِلْمَرَّةِ الْأُولَى فِي رُجُوعِهِ مِنْ دِيَارِ مَدْيَنَ"[٥]، وقال عبد الكريم الخطيب: "﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَما كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾..؛ الخطاب للنبي (صلوات الله وسلامه عليه)؛ وهو أنه لم يكن على علم بهذه الأخبار التي يقصها على قومه فيما أوحى الله إليه به مما كان بين موسى وربه إذ ناداه ربه من جانب الطور الأيمن؛ وهو الجانب الغربي من سيناء"[٦].

[٣] محمود أبو القاسم الكرماني المعروف بتاج القراء؛ غرائب التفسير وعجائب التأويل، دار القبلة للثقافة الإسلامية بيروت (١٢\ ٧٧٤).
[٤] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٢٠\ ١١٣).
[٥] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٢٠\ ١٣٣).
[٦] عبد الكريم يونس الخطيب؛ التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي بالقاهرة (١١٠\ ٣٥٢).

أما بيان ارتفاع جنوب سيناء حيث حل بنو إسرائيل؛ فيكفي القول: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾؛ ليُعَبِّر عن فارق الارتفاع، ووفق معطيات علم الجغرافيا حديثًا: يبلغ متوسط ارتفاع الأراضي المصرية حوالي ١٥ مترًا فوق مستوى سطح البحر، وأكثر منخفض بها هو منخفض القطارة الذي يبلغ حوالي ١٣٣ مترًا تحت مستوى سطح البحر، وتبدأ دلتا النيل عند القاهرة حيث يكون مستوى الأرض أعلى من مستوى سطح البحر بمقدار ١٨ متراً؛ وعند هذه النقطة تبدأ دلتا النيل، وقد يبلغ مستوى بعض الأراضي الشمالية للدلتا منسوباً أقل من مستوى ماء البحر؛ كما هو الحال في بحيرة مريوط التي تقل عن مستوى البحر بثلاثة أمتار، ويتناقص ارتفاع منسوب النيل من ٩٠ مترا عند أسوان ليصل عند القاهرة إلى ١٢ مترا فوق مستوى سطح البحر؛ أي يكون أقل من مستوى سطح الأرض بحوالي ستة أمتار فقط.

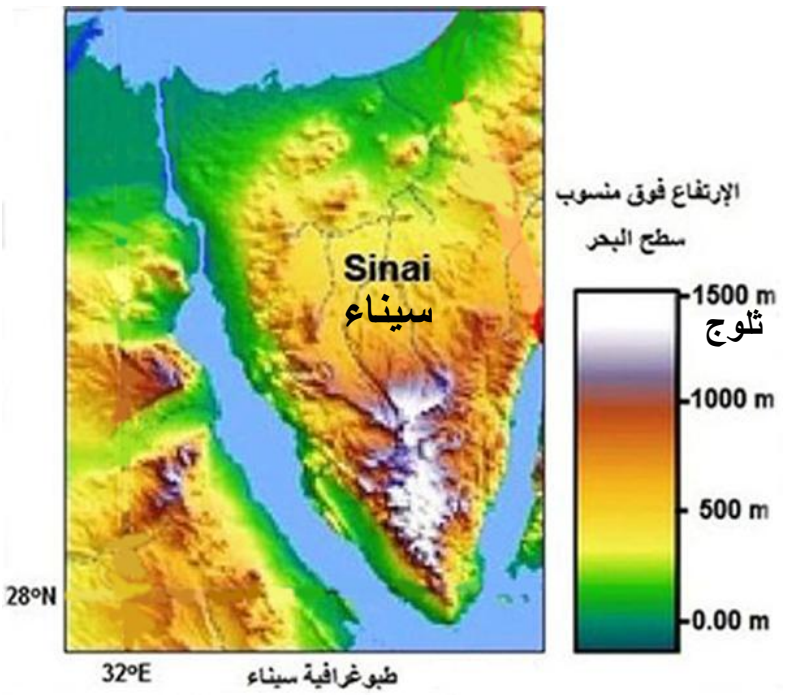

في حين أن معظم قيعان الأودية الرئيسة بين جبال جنوب سيناء تقع على مستوى أعلى من سطح البحر بمئات الأمتار، وتوصف شبه جزيرة سيناء جغرافيا بأنها مثلث تتجه رأسه نحو الجنوب؛ وجيولوجيا يوصف الجزء الجنوبي بأنه عبارة عن هضبة صخرية واحدة متصلة تطل فوقها قمم بركانية شاهقة الارتفاع تسمى عُرفًا بالجبال، ولكن سماها القرآن الكريم كجبل واحد بلفظ مفرد هو الطور، ويقع جبل الطور في القسم الجنوبي من سيناء، وفي الوسط هضبة التيه؛ ثم منطقة الساحل الشمالي، وتقطع القمم البركانية لمنطقة الطور أودية عديدة أشهرها وأغزرها ماءً ونخيلاً هو وادي فيران، وهو يمتد من الشاطئ الغربي لسيناء إلى الداخل حيث يقع جبل موسى الذي يبلغ ارتفاعه حوالي ٢,٢٨٥ مترًا، ويقع جبل المناجاة شماله حيث يُقال أن النبي موسى ناجى ربه عليه؛ ويبلغ ارتفاعه حوالي ١,٨٢٩ مترًا، وجبل سانت كاترين الذي يقع جنوب غرب جبل موسى ويبلغ ارتفاعه حوالي ٢,٦٤٢ مترًا، وهو أعلى جبل في سيناء، وجبل سربال الذي يقع غرب جبل موسى وشمال مدينة الطور على بعد حوالي ٩ كم من كل منهما ويبلغ ارتفاعه نحو ٢,٠٠٠ متر، وقيل أن الكنعانيين كانوا يحجون إليه ويعتبرون النخيل حوله رمزًا للخصوبة وهبة من السيد أي بعل؛ فسمي الجبل سور بال أي سرب أو نخيل بعل إشارة إلى نخيل وادي فيران في سفحه، ولكن قد ترجع قدسية تلك الأمكنة إلى عبادة توحيدية قديمة أبعد من زمن أسرات قدماء المصريين؛ يمكن أن تُنسب إلى بعض ورثة النبي إدريس أو حكمة لقمان، ويكفي أن موسى قبل بعثته قد تلقى دروسا على يد أحد الموحدين عند مجمع البحرين قرب مخبأ العقيدة بسيناء.

وفي النداء: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ ٢٠طه:١٢؛ لعل الأمر بخلع الحذاء كان إشارة للتطهر بالماء تهيئة للعبادة وإجابة للنداء مع بلوغ منطقة يتوفر فيها الماء والراحة للمارين؛ خاصة أن الاغتسال بالماء هو أهم نُسك في العبادات التوحيدية، وقد يعكس وجود نشاط ديني وثقافي قديم بالمنطقة أن الخط السينائي المستمد من المصرية القديمة قد خرج من سيناء موطن الموحدين وورثة الحكمة ليتفرع للآرامية واللغات الأساسية.

وتقع سرابيت الخادم شمال وادي فيران؛ واشتهرت بمناجم الفيروز زمن قدماء المصريين، وفي عام ٣٤٢م أقامت الملكة هيلانه أم الإمبراطور الروماني قسطنطين دير سانت كاترين على سفح جبل موسى بمنطقة مخبأ العقيدة تكريمًا لهيلانة التي قتلها الرومان من أجل عقيدتها، وجدده الإمبراطور جوستنيان عام ٥٤٨م؛ وجعله كالحصن حماية للرهبان.

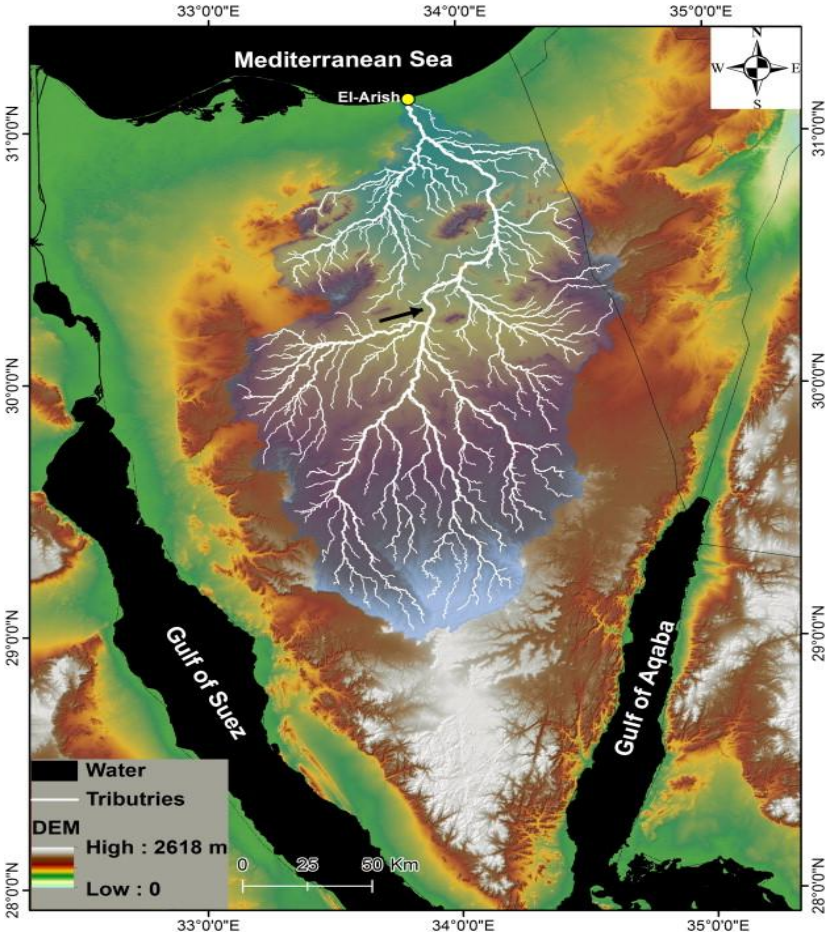

ولم تكن سيناء دوما صحراوية جافة كبقية الحزام الجغرافي الذي يشمل الجزيرة العربية وشمال أفريقيا؛ فقد كشفت الأقمار الصناعية حديثًا شبكة مجاري مائية تجري في الهضبة الوسطى وتصب في البحر الأبيض عند مدينة العريش، وربما كانت أودية المنطقة الجنوبية مشجرة كذلك، وقد عرفت في نهاية الدولة المصرية القديمة بالاسم (بو سينين) الذي يعني وادي الأشجار البهية المثمرة؛ خاصة مع وجود مزارع التين والزيتون والأعناب بموطن الموحدين الأوائل.

وما زالت أرض سيناء عامرة إلى اليوم بشجرة الزيتون المعمرة؛ حيث تزرع محافظة شمال سيناء نحو ٣٠ ألف فدان سنويًا؛ أي ما يعادل ٦٥ ألف طن تقريبًا من الزيتون، وهو ما يمثل نحو ١٥% من إنتاج مصر من الزيتون، وكان زيته يورد للمعابد كوقود للمشاعل لأنه أقل دخاناً عن اشتعاله من الزيوت الأخرى؛ ولعل خص سيناء بإنتاجه هو بيان لكثرة مزارعه فيها قديمًا: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ﴾ ٢٣المؤمنون:٢٠، والفعل المضارع (تخرج) يفيد التجدد ويتفق مع كونها شجرة معمرة يمكن أن تعيش لسنوات، واشتهرت سيناء كذلك بمزارع التين؛ وكان المصريون القدماء يجففونه ويحفظوه، وقد وردت سيناء باسمها القديم سينين في سياق ذكر أهم معالم المناطق حيث هبط الوحي: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ. وَطُورِ سِينِينَ. وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ ٩٥التين:١-٣، والتين والزيتون أشجار بهية مثمرة؛ والمضاهاة مع (طور سينين) تطابق المعنى القديم أي الجبل ذو السفح المزروع بالأشجار البهية المثمرة، وهكذا: كما سُميت مكة بأصلها القديم بكة؛ سُميت سيناء بسينين كشفًا لاسمها القديم المندثر!،

ويستدعي تفسير الأعجمي المعرب بالقرآن الكريم بالسياق؛ المضاهاة كذلك بين لفظ الأرض: ﴿مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾، ومضمونه الأرض المثمرة؛ وبين تعيينه بكلمة مصر مع التنوين للتعظيم: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾، ومضمونه وادي هو الأرض الخصبة؛ مما يفسر أصل دلالة الكلمة المُعَرَّبَة ﴿مِصْر﴾ في المصرية القديمة بوادي النيل ذي التربة السوداء الخصبة نتيجة تراكم الغرين مع الفيضان السنوي، ويعكس ما بلغته مصر قديمًا من ثراء وقوة نتيجة الزراعة،

وليس بالمنطقة وادي خصيب قريب لهضاب سيناء يتميز بتربة سوداء من الطمي سوى وادي النيل تحديدًا، والاسم القديم لوادي النيل في المصرية القديمة المندثرة: كِمِتْ Kmt؛ وتعني بالفعل: الأرض السوداء الخصبة![٧].

بقي أن نقول أن كلمة ثُوم التي تُنطق بالعامية توم؛ قريبة المخرج من أصلها في المصرية القديمة "حنتوم"، ويُغري ورود الثوم في رواية كتبة الأسفار المتأخرين بترجيحه على القمح لتفسير كلمة فوم؛ خاصةً لقرب مخرجها مع ثوم، لكن اسم ثوم شائع والقمح أكثر أهمية؛ والاستناد لقرب المخرج بالعربية لا يكفي لتفسير العدول لكلمة فوم، فهو ليس بأولى من الاستناد إلى كلمة قديمة قد تكون أصل فوم وفيوم مثل توم وحنتوم لقرب مخرجيهما؛ ككل الكلمات المُعَرَّبَة التي لا تجد لها ما يُفسرها سوى السياق، ولك إذن أن تعرف: لِمَ قالوا أن "فوم" هو القمح؛ إذا عرفت أصل كلمة فيوم.

في معجم مختار الصحاح: "(الْفُومُ).. قَالَ الْفَرَّاءُ: هِيَ لُغَةٌ قَدِيمَةٌ؛ وَ(الْفَيُّومُ) مِنْ أَرْضِ مِصْرٍ"[٨]**، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ. وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ. كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ ٤٤الدخان:٢٥-٢٨، ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ. كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ٢٦الشعراء:٥٧-٥٩؛ قال الإستانبولي (والهرري): "(مَقَامٍ كَرِيمٍ) يعنى المنازل الحسنة والمجالس البهية، وقال السهيلي في كتاب التعريف والأعلام: هي الفيوم من أرض مصر في قول طائفة من المفسرين..، وهى مدينة عظيمة بناها يوسف الصديق عليه السلام ولها نهر يشقها.. متصل بالنيل (بحر يوسف)..، (وهي) عامرة كلها مزارع وغلال..، فإذا أجدبت الديار.. كانت.. تقوم بأهل مصر..؛ بساتين وأشجار وفواكه كثيرة رخيصة وأسماك..، وبها من قصب السكر كثير"**[٩].

وتقع الفيوم على بعد حوالي ١٠٠ كم جنوب غرب القاهرة؛ وبها بحيرة قارون، وهي منخفض كبير يمده بماء النيل بحر يوسف الذي تم شقه قديمًا لتخزين الماء في غير وقت الفيضان خاصة زمن القحط، وتنبع ترعة يوسف من النيل عند مستوى ٢٦ متر فوق سطح البحر؛ ثم تتجه في انحدار متواصل لتصل إلى سطح بحيرة قارون عند منسوب ٤٥ متر تحت سطح البحر، وقيل أنها شقت في عهد الملك أمنمحات الأول (١٩٩١ – ١٩٧٢ ق.م)، وسماها العرب من بعد بحر يوسف، وطبقا لما ورد في مخطوطات المؤرخ الإغريقي هيرودوت (٤٨٤ – ٤٢٥ ق.م)؛ كانت بحيرة قارون تخزن المياه ستة أشهر وتمد الأراضي المستصلحة حولها بالمياه الستة أشهر الباقية من السنة، ونُسبت البحيرة

---

[٧] The Wörterbuch der Aegyptischen Sprache (Dictionary of the Egyptian Language): 24 terms for km; all indicates 'black', Since the fertile soil of the Nile was so black that the word for black (Khem) became the old Egyptian word for the Egypt earth and people.

[٨] زين الدين الرازي؛ مختار الصحاح، المكتبة العصرية بيروت، الطبعة الخامسة؛ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (ص٢٤٤).

[٩] إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي؛ روح البيان؛ دار الفكر بيروت (١٦ ٢٧٧)، محمد الأمين الهرري؛ تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، مراجعة الدكتور هاشم مهدي، دار طوق النجاة بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م (١٢٠ ٢٣٧).

لقارون لاعتقاد البعض بأنها المنطقة التي خُسف فيها قارون، وهي حاليا مالحة نتيجة تبخر الماء، والمنطقة عامرة بالحياة منذ ملايين السنين؛ فقد اكتشف ديناصور الفيوم (باراليتيتان) في جبل قطران شمال البحيرة؛ مع أن الديناصورات قد بادت منذ حوالي ٦٥ مليون سنة نتيجة حدث فلكي يُعتقد أنه رجم نيزكي، وبخلاف بقية مصر؛ أهرامات الفيوم فتحاتها جنوبًا لا شمالاً ومسلتها غير مثلثة جوانب الرأس؛ وتُوحِي المُخالفة بديانة مُخالفة كانت سائدة.

ويبلغ طول بحيرة قارون حاليا نحو ٥٠ كيلومتر وعرضها نحو ١٢ كيلومتر؛ وكانت أكبر في الماضي، ولضخامتها كان الاسم المصري القديم: فاي يم أي بحر الثعابين؛ لكثرتها في المستنقعات والأحراش المحيطة قبل أن يستصلحها المصريون القدماء وتتحول لأرض زراعية، أو: باي يَمْ Pl-ym يعني البحر العظيم، وتبدلت فيما بعد إلى فيوم Phiom، وأضاف العرب أداة التعريف فصارت الفيوم[١٠]، والأرضي المستصلحة حول اليم العظيم زمن قدماء المصريين حيث عاش العبرانيون وربما عملوا هنالك بالمزارع والبساتين؛ هي التي أَمَدَّت مصر يومًا مَا زمن القحط بالقمح الفيومي أو "الفُومِ"، وهو المُنتج الرئيس في الفيوم؛ وموضوع رؤيا الملك وحكمة النبي يوسف عليه السلام لتجنب القحط: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ. ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ. ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ ١٢يوسف:٤٧-٤٩، ولكن مع الحيرة في معنى فوم بالعربية من يُسميه؛ تلميحًا لحدث قد مضى واندثر، لا بد أن يكون على علم كذلك بأصله اللغوي المُندثر!.

[١٠] الشبكة الدولية؛ محمد رمزى بك؛ القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ١٩٩٤ (١٣\ ٩٦).

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال ابن عاشور: "فِي صِيغَةِ طَلَبِهِمْ.. جَفَاءٍ..؛ إِذْ قَالُوا: (لَنْ نَصْبِرَ)، فَعَبَّرُوا عَنْ تَنَاوُلِ الْمَنِّ وَالسَّلْوَى بِالصَّبْرِ الْمُسْتَلْزِمِ الْكَرَاهِيَةَ..، وَقَدْ أَشَارَتِ الْآيَةُ إِلَى قِصَّةٍ ذَكَرَتْهَا التَّوْرَاةُ.. وَهِيَ أَنَّهُمْ لَمَّا ارْتَحَلُوا.. قَالُوا: (تَذَكَّرْنَا السَّمَكَ الَّذِي كُنَّا نَأْكُلُهُ فِي مِصْرَ..؛ وَالْقِثَّاءَ وَالْبِطِّيخَ وَالْكُرَّاثَ وَالْبَصَلَ وَالثُّومَ)..، وَوَصَفُوا الطَّعَامَ بِوَاحِدٍ.. لِأَنَّ الْمُرَادَ أَنَّهُ مُتَكَرِّرٌ كُلَّ يَوْمٍ..، وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي الْفُومِ فَقِيلَ: هُوَ الثُّومُ..، وَهَذَا هُوَ الْأَظْهَرُ وَالْمُوَافِقُ لِمَا عُدَّ مَعَهُ وَلِمَا فِي التَّوْرَاةِ؛ وَقِيلَ الْفُومُ الْحِنْطَةُ.. وَقَوْلُهُ..: (أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ).. تَوْبِيخٌ شَدِيدٌ"[11]، "وَالْمَنُّ مَادَّةٌ صَمْغِيَّةٌ.. (تُجمع من) عَلَى شَجَرِ الْبَادِيَةِ..، وَقَدْ وَصَفَتْهُ التَّوْرَاةُ بِأَنَّهُ دَقِيقٌ.. وَطَعْمُهُ كَرُقَاقٍ بِعَسَلٍ، وَسَمَّتْهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ "مَنًّا".. فَكَانُوا إِذَا الْتَقَطُوهُ طَحَنُوهُ بِالرَّحَا أَوْ دَقُّوهُ بِالْهَاوُنِ وَطَبَخُوهُ فِي الْقُدُورِ.. وَكَانَ طَعْمُهُ كَطَعْمِ قَطَائِفَ بِزَيْتٍ، وَأَنَّهُمْ أَكَلُوهُ أَرْبَعِينَ سَنَةً؛ حَتَّى جَاءُوا إِلَى طَرَفِ أَرْضِ كَنْعَانَ..، وَأَمَّا السَّلْوَى فَهِيَ.. طَائِرٌ بَرِّيٌّ لَذِيذُ اللَّحْمِ"[12].

وقال القاسمي: "(وَفُومِها) هو الثوم؛ لقراءة ابن مسعود (وثومها) وللتصريح به في التوراة..، وقد ذكر ابن جرير شواهد لإبدال الثاء فاء لتقارب مخرجيهما"[13]. وقال محمد رشيد رضا: "(ذكروا أن) الْمَنَّ.. طَعْمَهُ كَالرُّقَاقِ بِالْعَسَلِ؛ وَكَانَ لَهُمْ بَدَلًا مِنَ الْخُبْزِ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَكْلٌ سِوَاهُ إِلَّا السَّلْوَى، فَقَدْ كَانَ مَعَهُمُ الْمَوَاشِي، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا مَحْرُومِينَ مِنَ النَّبَاتِ وَالْبُقُولِ"[14]، "(وقالوا أن) السَّلْوَى.. هِيَ طَيْرُ السِّمَّانِ.. (و) إِنَّهَا كَانَتْ تُهَاجِرُ مِنْ أَفْرِيقِيَّةَ.. فَتَصِلُ إِلَى سَيْنَاءَ تَعِبَةً فَتَقَعُ عَلَى الْأَرْضِ.. (و) تُؤْخَذُ بِالْيَدِ، وَقِيلَ: طَيْرٌ تُشْبِهُ السِّمَانَ وَلَكِنَّهَا أَكْبَرُ مِنْهَا"[15].

وقال المراغي: "البقل..: أطايب الخضر كالكرفس والنّعناع..، والقثّاء: ما تسميه العامة (القتّة)، والفوم..: قال جماعة منهم الكسائي إنه الثّوم؛ ويرجّح هذا ذكر العدس والبصل..، (و) الأدنى..: استعمل (هنا) للأخس الدّون، والهبوط: الانحدار والنزول، والمصر: البلد العظيم..، أي قال لهم موسى (ذلك) على سبيل التوبيخ والاستهجان: أتطلبون هذه الأنواع.. بدل ما هو خير منها؛ وهو المنّ الذي فيه حلاوة.. والسلوى الذي هو أطيب لحوم الطير"[16].

وقال الرازي: "اخْتَلَفُوا فِي الْفُومِ فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ الْحِنْطَةُ..، وَهُوَ أَيْضًا الْمَرْوِيُّ عَنْ مُجَاهِدٍ وَعَطَاءٍ وَابْنِ زَيْدٍ وَحُكِيَ عَنْ بَعْضِ الْعَرَبِ: فَوِّمُوا لَنَا أَيِ اخْبِزُوا لَنَا، وَقِيلَ هُوَ الثُّومُ وَهُوَ مَرْوِيٌّ أَيْضًا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ وَاخْتِيَارُ الْكِسَائِيِّ وَاحْتَجُّوا عَلَيْهِ بِوُجُوهٍ، الْأَوَّلُ: أَنَّهُ فِي حَرْفِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَثُومِهَا، الثَّانِي: أَنَّ الْمُرَادَ لَوْ كَانَ هُوَ الْحِنْطَةَ لَمَا جَازَ أَنْ يُقَالَ: (أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنى) لِأَنَّ الْحِنْطَةَ أَشْرَفُ الْأَطْعِمَةِ، الثَّالِثُ: أَنَّ الثُّومَ أَوْفَقُ لِلْعَدَسِ وَالْبَصَلِ مِنَ الْحِنْطَةِ..، وَعَنْ زُهَيْرٍ الْفُرْقُبِيِّ: (أَدْنَأُ) بِالْهَمْزَةِ مِنَ الدَّنَاءَةِ..، وَاخْتَلَفُوا فِي الْمُرَادِ بِالْأَدْنَى، وَضَبْطُ الْقَوْلِ فِيهِ أَنَّ المراد إما أن يكون أَدْنَى فِي الْمَصْلَحَةِ فِي الدِّينِ أَوْ فِي الْمَنْفَعَةِ فِي الدُّنْيَا.. وَفِي مُصْحَفِ عَبْدِ اللَّهِ وَقَرَأَ بِهِ الْأَعْمَشُ: (اهبطوا مصر) بغير تنوين؛ كقوله: (ادْخُلُوا مِصْرَ)..، رُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ تَرْكُ التَّنْوِينِ، وَقَالَ الْحَسَنُ: الْأَلِفُ فِي (مِصْرًا) زِيَادَةٌ.. فَحِينَئِذٍ تَكُونُ مَعْرِفَةً، فَيَجِبُ أَنْ تُحْمَلَ عَلَى مَا هُوَ الْمُخْتَصُّ بِهَذَا الِاسْمِ وَهُوَ الْبَلَدُ الَّذِي كَانَ فِيهِ فِرْعَوْنُ؛ وَهُوَ مَرْوِيٌّ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ وَالرَّبِيعِ، وَأَمَّا الَّذِينَ قَرَءُوا بِالتَّنْوِينِ.. فمنهم من قَالَ: الْمُرَادُ الْبَلَدُ الَّذِي كَانَ فِيهِ فِرْعَوْنُ وَدُخُولُ التَّنْوِينِ فِيهِ كَدُخُولِهِ فِي نُوحٍ وَلُوطٍ، وَقَالَ آخَرُونَ: الْمُرَادُ الْأَمْرُ بِدُخُولِ أَيِّ بَلَدٍ كَانَ..، أَمَّا أَبُو مُسْلِمٍ الْأَصْفَهَانِيُّ فَإِنَّهُ جَوَّزَ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِصْرَ فِرْعَوْنَ؛ واحتج عليه بوجهين: (الْأَوَّلُ): أَنَّا إِنْ قَرَأْنَا: (اهْبِطُوا مِصْرَ) بِغَيْرِ تَنْوِينٍ كَانَ لَا مَحَالَةَ عَلَمًا لِبَلَدٍ مُعَيَّنٍ؛ وَلَيْسَ فِي الْعَالَمِ بَلْدَةٌ مُلَقَّبَةٌ بِهَذَا اللَّقَبِ سِوَى (مصر).. فَوَجَبَ حَمْلُ اللَّفْظِ عَلَيْهِ، و(الثاني) لِأَنَّ اللَّفْظَ إِذَا دَارَ بَيْنَ كَوْنِهِ عَلَمًا وَبَيْنَ كَوْنِهِ صِفَةً فَحَمْلُهُ عَلَى الْعَلَمِ (أي: مصر) أَوْلَى مِنْ حَمْلِهِ عَلَى الصِّفَةِ"[17].

---

[11] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١١ ٥٢١).

[12] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١١ ٥٠٩).

[13] محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلميه بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (١١ ٣١٤).

[14] محمد رشيد رضا؛ تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ١٩٩٠م (١١ ٢٦٨).

[15] محمد رشيد رضا؛ تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ١٩٩٠م (١٩ ٣١١).

[16] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (١١ ١٣٠).

[17] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٣ ٥٣٢و٥٣٣).

وقال ابن حجر: "يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ أَنْوَاعًا مِنْهَا.. الْكَمْأَةُ.. وَبِهِ جَزَمَ الْمُوَفَّقُ عَبْدُ اللَّطِيفِ الْبَغْدَادِيُّ وَمَنْ تَبِعَهُ فَقَالُوا إِنَّ الْمَنَّ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ لَيْسَ هُوَ مَا يَسْقُطُ.. (مِنَ) الشَّجَرِ فَقَطْ، بَلْ كَانَ أَنْوَاعًا "مَنَّ" اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِهَا مِنَ النَّبَاتِ الَّذِي يُوجَدُ عَفْوًا وَمِنَ الطَّيْرِ الَّتِي تَسْقُطُ عَلَيْهِمْ..، وَالْمَنُّ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ أَيْ مَمْنُونٌ بِهِ، فَلَمَّا لَمْ يَكُنْ لِلْعَبْدِ فِيهِ شَائِبَةُ كَسْبٍ كَانَ مَنًّا مَحْضًا؛ وَإِنْ كَانَتْ جَمِيعُ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عَبِيدِهِ مَنًّا مِنْهُ عَلَيْهِمْ، لَكِنْ خُصَّ هَذَا بِاسْمِ الْمَنِّ لِكَوْنِهِ لَا صُنْعَ فِيهِ لِأَحَدٍ، فَجَعَلَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قوتهم.. الْكَمْأَةَ وَهِيَ تَقُومُ مَقَامَ الْخُبْزِ، وَأُدُمُهُمُ السَّلْوَى وَهِيَ تَقُومُ مَقَامَ اللَّحْمِ، وَحَلْوَاهُمُ الطَّلُّ الَّذِي يَنْزِلُ (مِنَ) الشَّجَرِ، فَكَمَّلَ بِذَلِكَ عَيْشَهُمْ، وَيُشِيرُ إِلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ)؛ فَأَشَارَ إِلَى أَنَّهَا فَرْدٌ مِنْ أَفْرَادِهِ..، وَلَا يُعَكِّرُ عَلَى هَذَا قَوْلُهُمْ (طَعَام وَاحِد) لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْوَحْدَةِ دَوَامُ الْأَشْيَاءِ الْمَذْكُورَةِ مِنْ غَيْرِ تَبَدُّلٍ؛ وَذَلِكَ يَصْدُقُ عَلَى مَا إِذَا كَانَ الْمَطْعُومُ أَصْنَافًا لَكِنَّهَا لَا تَتَبَدَّلُ أَعْيَانُهَا"[18].

والتعبير: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾؛ كأنه يعني: (عودوا إن شئتم للعبودية والوثنية والقتل)، وكأنه تهديد فيكون تنوين ﴿مِصْرًا﴾ حينئذٍ للتعظيم، وفي التعبير: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾، تتسع الخيرية لتشمل كل خير خاصة مع إبهام وجه الخير لتعني كل عطاء رباني بلا مشقة، وأن اللحوم أغنى قيمة غذائية بالبروتينات، وأن الحرية أغلى من العبودية، وأن القضية أساسًا هي الدين؛ والحياة الأبدية والنعيم المقيم هو خير من الحياة الفانية، قال الرازي: "الْإِنْكَارِ (عليهم) قَدْ يَكُونُ لِمَا فِيهِ مِنْ تَفْوِيتِ الْأَنْفَعِ فِي الدُّنْيَا؛ وَقَدْ يَكُونُ لِمَا فِيهِ مِنْ تَفْوِيتِ الْأَنْفَعِ فِي الْآخِرَةِ"[19].

والطعام الواحد هو المن والسلوى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ٢البقرة:٥٧، ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ٧الأعراف:١٦٠، ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ ٢٠طه:٨٠، وقد خصصهما البعض استنادًا لرواية الأسفار، ورَجَّحَ آخرون إطلاقهما طبقًا لمعناهما في العربية ليشملا كل نعمة؛ خاصة لرواية البخاري ومسلم: "الكَمْأَةُ مِنَ المَنِّ"، وهي تجعل (المن) أنواعا من الأرزاق وهبها الله تعالى لبني إسرائيل ولم يستخدموا فيها أداة زراعة؛ وتطلق بالمثل التعبير الملازم (السلوى) ليعني التسلية والتحلية بأطعمة أخرى، قال الراغب الأصفهاني: "وأما (المن) فمصدر "مَنَّ"؛ أي أنعم، وأصله من "مَنَنْت"..، و(السلوى) أصله ما يُسَلِّي الإنسان، ومنه السِّلْوَان والتَسَلِّي..، أشار بذلك إلى (كل) ما يرزق الله بني آدم من النبات واللحوم وسائر الخيرات"[20].

[18] أحمد بن علي بن حجر العسقلاني؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، علق عليه العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة بيروت؛ ١٣٧٩هـ (١١٠ ١٦٤).

[19] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٣ ٥٣١).

[20] الراغب الأصفهاني؛ تفسير الراغب، تحقيق د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب جامعة طنطا، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (١١ ٢٠٠).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Geography

جغرافيا

المَوْضُوع Subject

Nile Valley & Sinai

وادي النيل وسيناء

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ ٢البقرة:٦١.
- ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ٧الأعراف:١٦٠.
- ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ٨الأنفال:٤٢.
- ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ. ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ. ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ ١٢يوسف:٤٧-٤٩.
- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ ١٨الكهف:٦٠.
- ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ ١٩مريم:٥٢.
- ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى. إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى. فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى. إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ ٢٠طه:٩-١٢.
- ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ ٢٠طه:٨٠.
- ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:١٨. ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:١٩. ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ﴾ ٢٣المؤمنون:٢٠.
- ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ. كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ٢٦الشعراء:٥٧-٥٩.
- ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ. فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ٢٨القصص:٢٩و٣٠.
- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ. وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ ٢٨القصص:٤٣و٤٤.
- ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ٢٨القصص:٤٦.
- ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ. فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ. فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ. بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ. وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٣٠الروم:٢-٦.

- ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ ٣٣الأحزاب:١٠.
- ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ ٣٤سبأ:١٨، ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ ٣٤سبأ:١٨و١٩.
- ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ. وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ. كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ ٤٤الدخان:٢٥-٢٨.
- ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ. وَطُورِ سِينِينَ. وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ ٩٥التين:١-٣.